

# استدلال مقتبس من تفسير سورة عبس

د. حيدر تقي فضيل

جامعة واسط \_ كلية التربية \_ قسم علوم القرآن

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين وبعد،

فمما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد أكد لنا بعدد كبير من آياته خلق الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي مثل في حقيقته دعامة مهمة لقبول دعوته، فهو الصادق الذي لم يكذب وهو الأمين الذي لم يخن ، وما اصطفاه الله تعالى إلا لذلك، قال تعالى متحدثا عن أخلاقه - صلى الله عليه وآله وسلم - (( وانك لعلى خلق عظيم )) (١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم متحدثا عن تأديب الله تعالى له (( أدبني ربّي فأحسن تأديبي )) (٢) . ومن هذا المنطلق نفهم بعض الألفاظ والآيات الواردة في القرآن الكريم ، والتي يوحى ظاهرها خلاف هذا المعنى مثل قوله تعالى (( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر )) (٣) وقوله (( عفا الله عنك لم أذنت لهم )) (٤) وقوله (( لقد تاب الله على النبي... )) (٥) وقوله أيضا (( عبس وتولى أن جاءه الأعمى )) (٦) محل البحث، حيث تجسّد هذه الآيات جميعها عصمة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعظيم خلقه ، فالتوبة على النبي شئ وتوبة الله تعالى على المذنبين من عباده شئ آخر، وغفران الذنب له - صلى الله عليه وآله وسلم - هو غير غفرانها عن غيره (٧) كما روي عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - انه قام حتى تورّمت قدماه فقبل له (( غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال أفلا أكون عبدا شكورا )) (٨) ، وكذا الحال مع الآية محل البحث ، والذي سنستدل من خلاله على أن هذه الآية نزلت في شخص الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - من دون المساس به بل على العكس ، وذلك من خلال الاستطراد بذكر الأدلة المؤيدة من نصوص وشواهد للتدليل على ما نقول في هذا البحث الذي نسأل الله تعالى أن يوفقنا له انه سميع مجيب.

لقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى (( عبس وتولى )) (٩) على قولين اثنين ومنشأ ذلك الاختلاف هو الخلاف في تحديد شخصية العابس ، فمن قائل أنّه الرسول (١٠) ، ومن قائل أنّه غيره (١١) مما يؤيد وجود اتجاهين اثنين ، ويبدو لي أن أصحاب الاتجاه الثاني، والذي تبني رأي أن لا يكون الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - هو العابس ، إنما قالوا بهذا الرأي وأيدوه إنما هو لتزيه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

وسلم - عن صفة نقص وهي العبوسية التي لا يمكن أن تليق به - صلى الله عليه وآله  
وسلم - وعلى هذا فقد مال هذا الفريق إلى القول الآخر الذي يؤيد نزول هذه الآية في رجل  
آخر كان بجوار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الذي عبس (١٢) . وللوقوف  
على هذين الرأيين علينا أولاً تحديد لفظة العبوسية، وهل هي صفة مذمومة أم لا ، يقول  
الراغب الأصفهاني (( العبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر )) (١٣) ، ومعنى هذا أن يعبس  
الإنسان هو أمر طبيعي ملازم لضيق الصدر الذي يعدّ هو الآخر أمراً طبيعياً بالنسبة إلى  
الإنسان ، حيث إنّ ضيق الصدر بالنسبة إليه - وأعني الإنسان - صفة محتملة ،  
فضيق الصدر يستعمل في الغم ، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم أكثر من مرة ، ومنها  
ما وصف بها الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي قوله تعالى ((ولقد نعلم أنّك  
يضيق صدرك بما يقولون )) (١٤) ، وجاءت هذه اللفظة أيضاً على لسان نبي الله موسى -  
عليه السلام- (( ويضيق صدري ولا ينطق لساني )) (١٥) وعلى هذا فإذا كانت عبوسية  
الوجه دليلاً على ضيق الصدر (١٦) فهي بهذا لا تعدّ صفة نقص إلا إذا كانت سابقة لأوانها  
بمعنى أنها في غير وقتها ، كما قال تعالى (( عبس وبسر )) (١٧) التي تعني أن تلك  
العبوسية لم تكن في وقتها وهذا هو معنى كلمة (بسر) (١٨) يقال (( بسر الرجل الحاجة  
إذا طلبها من غير موضع الطلب )) (١٩) ، وذهب ابن عطية الأندلسي إلى القول في  
بيانها للفظ العبوس بأنه ((تقطب الوجه وإريداده عند كراهية أمر )) (٢٠) ، والأمر  
الذي ذكره المفسرون وكان السبب الذي لأجله عبس رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -  
هو أن ابن أم مكتوم ، وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر  
(٢١) ، وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن معيص  
بن عامر بن لؤي القرشي (٢٢) وهو ابن خال خديجة (رضي الله عنها) (٢٣) قطع  
حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع المشركين إذ كان الرسول حريصاً  
على هدايتهم وتوجيههم ، كما أنّه كان يقدم هذا الأمر على ما هو أقل أهمية منه ألا وهو  
توجيه المسلم وإرشاده إلى أمر دينه (٢٤) وذلك باعتبار أن الواجب الأول واجب مضيّق  
خلاف الثاني الذي يعدّ واجباً موسعاً ، حيث كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -  
مشغولاً يدعو أشراف قريش إلى الإسلام فجاءه ابن أم مكتوم قائلاً له (( يا رسول الله علمني  
مما علمك الله )) (٢٥) ، وكرّر ذلك مراراً فعبس رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -  
في وجهه وأعرض عنه، ويذهب النسفي في تفسيره (٢٦) إلى القول بأن ابن أم مكتوم كان  
لا يعلم تشاغل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع القوم ، وهذا لا يمكن  
قبوله لسببين :

أولهما : لو كان هذا الكلام صحيحا لكان ابن أم مكتوم معذورا ، وعلى هذا تكون عبوسية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في غير محلّها ، وهذا محال.

ثانيهما : لا يمكن أن يكون ابن أم مكتوم لا يعلم لأنه وإن كان أعمى إلا أنه يسمع، والقضية بحاجة إلى سمع لا إلى رؤية .

وهذا يثبت لنا أنّ أمام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - واجبين اثنين :

الأول : واجب توجيه المسلمين وإرشادهم إلى أمور دينهم وإجابتهم عن أسئلتهم .

الثاني : واجب هداية رؤوس الشرك في مكة كعتبة وشيبة أبناء ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان معهم أيضا العباس بن عبد المطلب (٢٧) ، وانشغال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأمر هؤلاء النفر إنّما هو لمكانتهم بين قومهم ، فرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بناء على هذا لم يكن منشغلا بقضية خاصة ولا لمصلحة تعنيه شخصا ، وإنما كان انشغاله للإسلام ومصلحته فلو أسلم هؤلاء النفر لأسلم معهم نفر كثير ولانزاحت العقبات أمام طريق الدعوة ، الأمر الذي كان يعلم به ابن أم مكتوم جيدا ويعلم كذلك بأنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منشغل في قضية مهمة وهي هداية هؤلاء الناس ، وعلمه بهذا الأمر استوجب من رسول الله تأنيبا وإرشادا (٢٨) . لأنه وفي أثناء مهمة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - هذه ، جاءه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر (٢٩) ، وهو ابن خال خديجة (رضي الله عنها) كما تقدم (٣٠) فقطع حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع القوم ، ومن البديهي القول بان قطع الحديث لا يعدّ من الآداب الإسلامية التي بعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأجلها ، ولم يكن أمام رسول الله حينها إلا أحد أمرين :

أولهما : أن يسكت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أمام ابن أم مكتوم ، وحينها يكون فعل ابن أم مكتوم صحيحا مما اقتضى سكوت رسول الله عنه ، وهذا محال لأن قطع الحديث والكلام كما تعارف عليه الناس مغلّ بالآداب الإسلامية ، وسنة المعصوم هي قول وفعل وتقرير ، فسكوته يعدّ تقريرا لمنهج ليس من الآداب الإسلامية التي ما جاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليه

وآله وسلّم - إلّا لأجلها ، ولا من الأخلاق التي توارثها الناس والتي ما جاء الإسلام إلّا لتأكيدھا وتأصيلھا وتتمتها فقال - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - (( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق )) (٣١)

أضف إلى ذلك أن سكوت رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - سوف يعطي طابعا شرعيا لكل قاطع حديث باعتبار أن سكوت النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - على ابن أم مكتوم الذي قطع الحديث يعد تقريرا وإباحة منه (٣٢) - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - لهذا الفعل ، وقد ذكر المفسرون أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - كره فعل ابن أم مكتوم وظهر الكراهية في وجهه مما دلّ على أن الفعل الذي قام به عبد الله ابن أم مكتوم لم يكن صحيحا ولم يكن سلوكا إسلاميا ، وقد أيد هذا الكلام العلامة الطبرسي في بداية تفسيره لهذه الآية (٣٣) ، ونقل أيضا أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - كان وبعد أن نزلت عليه هذه الآيات كان يكرم ابن مكتوم ويرحب به ويقول له (( مرحبا بمن عاتبني فيه ربي )) (٣٤) ، ثم نقل بعد ذلك قولاً عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) وهو (( إنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه )) (٣٥) وهذه الرواية معارضة برواية ثانية جاءت عن الإمام الصادق - عليه السلام - أيضا في التفسير ذاته وهي قوله (( كان رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - إذا رأى عبد الله ابن أم مكتوم قال مرحبا . لا والله لا يعاتبني الله فيك أبدا ، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - مما يفعل به )) (٣٦) ، وكذلك هي معارضة بالرواية السابقة وهي قوله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - لعبد الله (( مرحبا بمن عاتبني فيه ربي )) (٣٧) وتعارض الروايات يجب الوقوف عنده للوصول إلى المراد .

وعلى هذا فإن ابن أم مكتوم لم يكن معذورا في قطع حديث رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - مع القوم لأنّه وإن كان أعمى فانه يسمع ، ومما يؤيد ان ابن أم مكتوم مكلف بما يسمع لا بما يرى هو ما نقله السيوطي في تفسيره ( ٣٨ ) قال (( أقبل ابن مكتوم الأعمى وهو الذي نزل فيه -عبس وتولى أن جاءه الأعمى - فقال يا رسول الله كما ترى قد كبرت سني ورق عظمي وذهب بصري ولي قائد لا يلائمني قيادة إياي فهل تجد لي من رخصة أصلي الصلوات الخمس في بيتي ؟ قال هل تسمع المؤذن ؟ قال نعم ، قال ما أجد لك من رخصة )) . ففي هذا القول دلالة قوية على أن الإنسان مكلف بما يملك من جوارح ، وعليه فإذا لم يكن لأبن أم مكتوم رخصة في هذه القضية لأن الأمر متعلق بالسمع ، فلا رخصة له حينها في القضية محل البحث وهي أن يقطع حديث رسول الله مع القوم لأنه كان يسمع ذلك . والفرق

بين هذا الموقف والموقف الذي نتكلم عنه هو أنّ هذا الموقف كان إجابة عن سؤال ، والإجابة تتطلب كلاماً ، أما في سورة عبس فلم يكن هناك من سؤال وإنما كان هناك موقف بحاجة إلى ردّ فوري مناسب للموقف نفسه الذي لم يكن حينها إلا أن يعبس رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - . ولعل أهم ما يمكن أن يحتج به المعارضون لهذا الرأي هو قولهم بأن العبوسية صفة غير لائقة به - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - وجواباً عن ذلك نقول بأن العبوسية تعد صفة غير لائقة إذا كانت لأمر دنيوي أو شخصي ، وهذا ما لم يفعله الرسول الكريم ، فالرسول إنما عبس لأمر أخروي مهم جاء ضمن نطاق الدعوة وهو دعوة المشركين إلى الإسلام رجاء إسلامهم وعليه فإن الخطاب يكون في هذه السورة للنبي أقرب من أن يكون خطاباً لغيره.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى نقطة مهمة وهي تؤكد عظيم أخلاق المصطفى - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - حيث أن دعوته اعتمدت على الحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى (( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة )) (٣٩) ، ومعنى الموعظة الحسنة هو (( الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع )) (٤٠) وكذلك من الحكمة اختيار الأسلوب المناسب في الوقت المناسب وهذا عين ما فعله رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - حيث عبس في وجه ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الذي لم يكن ليرى عبوسية الرسول ليبين له وللأمة أجمع سوء تصرفه وخطأ فعله الذي قام به (( لأنه وإن كان أعمى لا يرى فإنه يسمع ويسمعه حديث رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - وإقدامه على مقاطعته يكون مرتكباً معصية )) (٤١) ، وعلى هذا فعبوسية الرسول ضمن هذا المورد لا تدخل الألم إلى نفس ابن أم مكتوم وهذا هو المطلب الأول وتبين في الوقت ذاته خطأ الرجل وهذا هو المطلب الثاني. وبعبارة أخرى فإنّ عبوسية رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - لها دالتان اثنتان :

الأولى: تنبيه ابن أم مكتوم على خطئه وعن طريقه تنبيه الأمة أجمع، ف(( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب )) (٤٢) ، ونتيجة لذلك أصبح درس ابن أم مكتوم عبرة للمسلمين جميعاً ومؤداه أنه ليس من الأخلاق ولا من السلوك القويم أن يقطع الحديث أياً كان المتحدثون ، ناهيك أن يكون المتحدث رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - .

الثانية : إن الدعوة إلى هذا الأمر كانت بالشكل الذي لا يدخل إلى قلب المدعو ألماً ، من حيث إن رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - اختار هذا الأسلوب المناسب للشخص الأعمى ، وهذا يدل على أن من شروط الدعوة اختيار الأسلوب المناسب الذي لا يصاحبه الأذى لتكون طريقاً لانجذاب الناس إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - كما قال تعالى

(( ولو كنت فضا غليظ القلب لانفطوا من حولك )) (٤٣)، وعبوسية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في وجه الأعمى مصداق للآية آنفة الذكر فهي تؤكد أنّ الرسول لم يكن فظا ولا غليظ القلب لأنّ الأعمى لم يكن ليرى ملامح الغضب التي ظهرت على وجه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - (٤٤) وبعبارة ، أن أمام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وظيفتين في هذا المورد ، احدهما هداية الناس وتوجيههم وإرشادهم ، والاخرى أن لا يكون فظا غليظ القلب في دعوته إلى ربه (٤٥)، وفي هذه الآية (( دليل على أن النبي يجب أن لا يكون بحالة تجعل المحيطين به يتفرقون عنه )) (٤٦)، حينها لم يكن أمام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا احد أمرين : السكوت أو الكلام الذي لا يجعله فظا غليظ القلب ، الأمر الذي لا يكون إلا من خلال اختيار الأسلوب المناسب والذي كان هنا هو العبوسية .

ومن الممكن مناقشة أصحاب الاتجاه الأول والقائلين بأن العابس هو غير رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بعدد من الأدلة التي تعد من القرائن التي لا تخدم أصحاب هذا الاتجاه وهي :

- ١- إن لفظة المجئ تستلزم الوصول إلى الغاية أو إلى الهدف ، جاء في اللسان : (( المجيء : الإتيان )) (٤٧)، وكلمة ( جاءه ) تستلزم معنى انه أتى إلى العابس لا إلى غيره ، فالعباس هو الشخص المقصود بالمجئ ، كما أن الآية حدّدت سبب المجئ وهو طلب التزكية وهذا الأمر محصور برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لا بغيره كما سيأتي.
- ٢- ولعل الذي يؤكد أن ابن أم مكتوم كان قاصدا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قرينة أخرى وهي قوله تعالى مبينا السبب الذي عاتب الله نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - (( وما يدريك لعله يزكى )) (٤٨)، فهذه الآية تشير إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جمعا بينها وبين قوله تعالى (( كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون )) (٤٩) ، وكذلك قوله تعالى في السورة نفسها (( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم )) (٥٠) ، فهذه الآيات وغيرها تبين بوضوح أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هو الذي عليه تزكية القوم ، وعلى هذا يكون المخاطب بقوله تعالى (( وما يدريك لعله يزكى )) (٥١) هو رسول الله (٥٢) -

صلى الله عليه وآله وسلم - جاء في الميزان (( المراد بالتزكي التطهر بعمل صالح بعد التذكر الذي هو الاعتاظ والانتباه )) (٥٣) ، وما من شك في أن الطريق للتطهر هو رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وليس غيره ، ولا يمكن لصحابي كابين أم مكتوم التوجه إلى رجل بجانب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لطلب التزكية ورسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - موجود .

٣- من القرائن الأخرى التي تؤكد هذا الرأي هي قوله تعالى (( أو يذكر فتنبه الذكرى )) (٥٤) ، من حيث أن تذكير الناس وهدايتهم هي من واجبات ومهمات الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - كما قال تعالى (( لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون )) (٥٥) ، وقوله أيضا (( فذكر بالقران من يخاف وعيد )) (٥٦) ، وأيضا (( فذكر إنما أنت مذكر )) (٥٧) ، يقول الطبري (( يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فذكر يا محمد عبادي بآياتي ، وعظهم بحجبي وبلغهم رسالتي ..... إنما أرسلتك إليهم مذكرا لتذكرهم نعمي عندهم ، وتعرفهم اللازم لهم وتعظهم )) (٥٨) .

٤- ومن القرائن الأخرى التي تؤكد المعنى ذاته ، هو قوله تعالى (( أما من استغنى فأنْتَ له تصدى )) (٥٩) ، حيث تبين هذه الآية أن رسول الله كان يتصدى للمستغنين ، وهذه مهمة أصعب من محاورته للمسلمين ، وهذا يؤيد ما سبق وإن قلناه بأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يقدم الصعب على السهل ، وهذا من باب حرصه على نشر الإسلام ونشر الدعوة ، وعلى هذا فمعنى الآية كما ذهب الشيخ محمد جواد مغنية إلى أن أمام رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مهمتين ، مهمة صعبة وأخرى سهلة ، وقد قدم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الصعب على السهل وذلك لحرصه على كسب أكبر عدد من المسلمين ، لأن هداية الكافرين أصعب من إرشاد المسلم وتعليمه أمور دينه ، وعلى هذا فهذه القضية لا تستوجب عتبا على الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ، بل عتب له والمعنى : أشفق على نفسك يا محمد ولا تتعبها بمحاوله هداية المشركين فنحن نعلم جيدا حرصك على هدايتهم ، قال تعالى (( إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين )) (٦٠) ، ومن ثم فهذا لا يستوجب أن يعاتب الله رسوله الذي لم يقصر في مسألة الدعوة (٦١) ، يقول الشيخ محمد جواد مغنية (( قول المفسرين : إن الله عاتب النبي على ذلك لا وجه له على الإطلاق ، حيث لا موجب للعتاب في فعل الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ))



الله عليه وآله وسلّم - لأنه أراد أن يغتنم الفرصة قبل فواتها مع أولئك العتاة ، أن يغتنمها ويستغلها لمصلحة الإسلام والمسلمين لا لمصلحته ومصلحة أهله وذويه ، أما تعليم المسلم الأحكام والفروع فليس له وقت محدود بل هو ممكن في كل وقت ، وبتعبير الفقهاء : أنّ إسلام الكافر مضيق يفوت بفوات وقته ، أما تعليم المسلم أحكام الدين فموسع يمكن القيام به في أي حين ، والمضيق أهم ، والموسع مهم ، والاهم مقدّم بحكم العقل ..... إذن عمل الرسول آنذاك كان خيرا وحكمة )) (٦٢) وعلى هذا فإن الآية وكما سبق وإن قرّرنا تمجّد الرسول وتمجّد أخلاقه وليس العكس .

٥- ومن القرائن الأخرى التي يمكن الاستدلال بها على أن كلمة ( عبس ) ليس فيها أدنى إساءة إلى الرسول الكريم - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - وأنّها صفة طبيعية في الإنسان ، هو ما نقله العلامة المجلسي في بحاره من أنّ الإمام علي ( عليه السلام ) قد عبس في وجه عاصم بن زياد ، بعد أن شكاه أهله إليه ( عليه السلام ) وذلك بعد أن انقطع عن الدنيا وترهبين ، ممّا أدى إلى إصابة أهله بالضرر ، فشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى الإمام عليه السلام فقال (( عليّ بعاصم بن زياد فجئ به ، فلما رآه عبس في وجهه ، فقال أما استحييت من اهلك ، أما رحمت ولدك ؟ أترى الله احل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها ؟ أنت أهون على الله من ذلك )) (٦٣) ، فإذا كانت لفظة ( عبس ) فيها إساءة إلى الرسول الكريم في نظر البعض وهو الذي عبس في وجهه من لا يرى العبوسية فما بالك في عبوسية الإمام علي ( عليه السلام ) التي لا يمكن حملها إلّا على ما يوافق المعصوم ، وإذا كان هذا الفعل ممكن صدوره عن الإمام ( عليه السلام ) فهو ممكن الصدور عن الرسول الكريم - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - باعتبار أنّ السّنة هي قول المعصوم وفعله وتقريره (☆) و ما لا يمكن نسبته إلى الرسول لا يمكن نسبته إلى الإمام والعكس صحيح ، فلم يبق إلا القول بصحة النسبتين ، بمعنى أنّ صفة العبوسية ليست صفة مذمومة إذا كانت ضمن الدعوة وفي مجالها ، لاسيما إذا كانت مع من لا يراها كما فعل رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - ، وعلى هذا فلا يبقى هناك وجه لقول من قال بأن صالح بن أبي حمّاد وهو احد رجال سند الحديث المذكور ضعيف (٦٤) ، وذلك لوجود عدد من القرائن على مدحه (٦٥) ، فضلا عمّن وثقه (٦٦) ، أضف إلى ذلك القرائن الكثيرة التي تؤيد

أنّ هذه اللفظة قد وصف بها رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - في سورة عبس .

بعد كل ما تقدم من أدلة وبراهين ليس لنا إلاّ تأييد الفريق الذي يؤكّد نزول هذه السورة في شخص الرسول الكريم مع الحفاظ على مقومات العصمة ، فان قولنا بنزولها في شخص الرسول الكريم يسير ضمن دائرة العصمة وليس خارجها فإننا أكّدنا غير مرة على أنّ الأنبياء جميعاً معصومون قبل النبوة وبعدها من الصغائر فضلاً عن الكبائر ، وضمن هذا المعنى يجب أن يفهم قوله تعالى (( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم )) (٦٧) ومعناها : لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار ، فوجود النبي سبب لتوبة الله عن المهاجرين والأنصار ( ٦٨ ) ، فيما يذهب صاحب الميزان إلى القول بان هذه التوبة إنما هي توبة عامة للناس جميعاً (٦٩) والخلاصة أنّ كل التفاسير في هذا الصدد تنزه الرسول الكريم عن الذنب، وكذلك قوله تعالى (( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً )) (٧٠) التي لا يمكن حملها على ظاهرها (٧١) وبالنتيجة ليس لها إلا القول بان المقصود من الآية هو ذنب أمته - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - وليس ذنبه هو ( ٧٢ ) ، وهكذا بقية الآيات التي نظر إليها المفسّرون نظرة توافق العصمة ، ورفض كل تفسير لا يتفق مع هذا الشأن ، وهكذا الكلام مع قوله تعالى (( عبس وتولى )) (٧٣) التي يجب أن تفهم وتفسّر في إطار العصمة كأخواتها من الآيات المتقدمة .

#### الخاتمة

- ١- إنّ قوله تعالى (( عبس وتولى )) المقصود به رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - وليس غيره.
- ٢- أنّ في نسبة الآية إلى النبي الكريم محمد - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - ليس فيه إساءة إليه ، بل العكس فهي تمجّد بأخلاقه وطباعه.
- ٣- الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الصغائر والكبائر ، وكل آية تتنافى مع هذا الأمر يجب تأويلها لتكون موافقة لأخلاق الأنبياء ( عليهم السلام ) .
- ٤- إنّ على دعاة عصرنا أن ينتهجوا نهج الرسول الكريم - صَلَّى الله عليه وآله وسلّم - في الدعوة إلى الله بان لا يكونوا منفّرين ، وان تكون أساليبهم موافقة

للشخص المدعو ، فلكل ٢١/٠١/٢٠١١ إنسان طريقة خاصة به ، فيجب حينها اختيار الطريقة التي لا تدخل إلى قلب المدعو ألما .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين.

#### الهوامش :

- ١- القلم / ٥
- ٢- بحار الأنوار - العلامة المجلسي ١٦ / ٢١٠ ، وينظر الجامع الصغير ١ / ٥١
- ٣- الفتح / ٢
- ٤- التوبة / ٤٣
- ٥- التوبة / ١١٧
- ٦- عبس / ١
- ٧- ينظر تفسير البغوي ٢ / ١٧
- ٨- صحيح البخاري ٦ / ٤٤ تفسير سورة الفتح
- ٩- عبس / ١
- ١٠- ينظر التفسير الكاشف - محمد جواد مغنية ٧ / ٥١٥
- ١١- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠ / ٢٥٨
- ١٢- ينظر بحار الأنوار ١٧ / ٨٥
- ١٣- المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني ٣٢٠ مادة ( عبس )
- ١٤- الحجرات / ٩٧
- ١٥- الشعراء / ١٣
- ١٦- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٤٣٦ ، وينظر معجم الفاظ القرآن الكريم ، مادة عبس ٢ / ٧٤٠
- ١٧- المدثر / ٢٢
- ١٨- ينظر معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ١ / ٢٤٩ مادة ( بسر )
- ١٩- المصدر السابق ١ / ٢٤٩ مادة ( بسر )
- ٢٠- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٤٣٦
- ٢١- ينظر مجمع البيان ١٠ / ٢٥٨ ، وينظر جامع البيان - الطبري ١٢ / ٤٤٤
- ٢٢- ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي ٣٠ / ٣٩

- ٢٣- ينظر التفسير الكاشف ٥١٦ / ٧
- ٢٤- ينظر معاني القرآن وإعراجه - الزجاج ٢٨٣ / ٥
- ٢٥- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي ١٩٢٦ / ٣
- ٢٦- المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٩٢٦ / ٣
- ٢٧- ينظر في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٨٢٤ / ٣٠ ، وينظر تفسير القرآن العظيم ٤٦١/٥
- ٢٨- ينظر في ظلال القرآن ٣٨٢٤ / ٣٠ وينظر تفسير الفخر الرازي ٥١ / ١١
- ٢٩- ينظر مجمع البيان ٢٨٥ / ١٠ وينظر جامع البيان ٤٤٤ / ١٢
- ٣٠- ينظر التفسير الكاشف ٥١٥ / ٧ ، وينظر تفسير البحر المحيط ٤١٩ / ٨
- ٣١- بحار الأنوار ١٦ / ٢١٠ ، وقد ورد الحديث في السنن الكبرى للبيهقي في باب بيان مكارم الأخلاق ١٠ / ١٩٢ .
- ٣٢- ينظر المغني - عبد الله بن قدامة ٤٢١ / ١
- ٣٣- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٥٨ / ١٠
- ٣٤- المصدر السابق ٢٥٨ / ١٠
- ٣٥- المصدر نفسه ٢٥٨ / ١٠
- ٣٦- مجمع البيان ٢٥٩ / ١٠ ، وينظر جامع البيان ٤٤٤ / ١٢
- ٣٧- تقدّم ذكرها .
- ٣٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥١٨ / ٦ ، وينظر الأمل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي ٢٥١ / ١٩
- ٣٩- النحل ١٢٥ / ١
- ٤٠- التبيان - الطوسي ٤٣٩ / ٦
- ٤١- أضواء البيان - الشنقيطي ٤٣٠ / ٨
- ٤٢- المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية - مصطفى الزلمي / ٧٠
- ٤٣- آل عمران / ١٥٩
- ٤٤- ينظر في ظلال القرآن ٣٨٢٤ / ٣٠
- ٤٥- ينظر الأمل ٤٢٤ / ١٢
- ٤٦- المصدر السابق ٤٢٤ / ١٢
- ٤٧- لسان العرب ١ / ٥١ مادة ( جاء )
- ٤٨- عبس / ٣
- ٤٩- البقرة / ١٥١

- ٥٠- البقرة / ١٢٩ وتراجع الآيات ، الأنعام / ٧٠ ، الذاريات / ٥٥ ، الطور ٢٩ ، الأعلى / ٩ ، ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٣٤ مادة ( ذكر ) .
- ٥١- عبس / ٣
- ٥٢- ينظر التبيان ١٠ / ٢٦٩
- ٥٣- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٢٠٠
- ٥٤- عبس / ٤
- ٥٥- القصص / ٤٦
- ٥٦- ق / ٤٥
- ٥٧- الغاشية / ٢١ ، وتراجع الآيات ، الأنعام / ٧٠ ، الذاريات / ٥٥ ، الطور / ٢٩ ، الأعلى / ٩
- ٥٨- جامع البيان ٢٤ / ٣٤٠
- ٥٩- عبس / ٥
- ٦٠- النحل / ٣٧
- ٦١- ينظر التفسير الكاشف ٧ / ٥١٦ ، وينظر تفسير الفخر الرازي ١١ / ٥١
- ٦٢- المصدر نفسه ٧ / ٥١٦
- ٦٣- بحار الأنوار ٤١ / ١٢٤ ، وجاء برواية ثانية ٦٧ / ١٢١ ، وجاء الحديث في شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني ٥ / ١٢١ بسنده عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن أحمد بن محمد ، حديث رقم ٦٠٣٧
- (\*) يقول الشيخ فاضل الصفار (( اتفق المسلمون على أنّ السنّة الشريفة أوسع ممّا جاء عن النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - قولاً وفعلاً وتقريراً ، ولكنهم اختلفوا في مدى هذه السعة إلى قولين ، القول الأول للأمامية حيث وسّعوا في حدود السنّة لتشمل أقوال المعصومين من أهل بيت النبي - صلّى الله عليه وآله وسلّم - وفعلهم وتقريرهم )) . أصول الفقه وقواعد الاستنباط ، دراسة تطبيقية مقارنة ١ / ٩٦ ، وينظر الأصول العامّة للفقه المقارن / ١١٦ ، وينظر المهدّب في أصول الفقه / ٦٤ .
- ٦٤- رياض المسائل - علي الطباطبائي ١٠ / ١٦٤
- ٦٥- ينظر المصدر نفسه ١٠ / ١٦٤
- ٦٦- ينظر مشايخ النقات - غلام رضا عرفانيان / ٦٧
- ٦٧- التوبة / ١١٧
- ٦٨- ينظر تفسير جوامع الجامع - الطبرسي ٢ / ١٠٠ ، وينظر الميزان ٩ / ٣٠٣
- ٦٩- ينظر الميزان ٤ / ٢٤٦

٧٠- الفتح / ٢

٧١- ينظر التبيان ٩ / ٣١٢ ، وينظر اللباب في علوم الكتاب ٤٧٩/١٧

٧٢- ينظر المصدر السابق ٩ / ٣١٢ ، وينظر تفسير غريب القرآن - فخر الدين الطريحي

٩٨ / ، وينظر الأمتل ١٦ / ٤٢٤

٧٣- عبس / ١

المصادر :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً :

- الأصول العامة للفقه المقارن ، السيد محمد تقي الحكيم ، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

الطبعة الثانية ، قم المقدسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

- أصول الفقه وقواعد الاستنباط ، دراسة تطبيقية مقارنة ، الشيخ فاضل الصفّار ، مؤسسة

الفكر الإسلامي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد

المختار الجكني الشنقيطي ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار الفكر للطباعة والنشر ،

بيروت ١٩٩٥ .

- الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، تأليف العلامة الفقيه المفسر آية الله العظمى الشيخ

ناصر مكارم الشيرازي ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق

عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب

العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر

المجلسي ، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

- التبيان في تفسير القرآن - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، طبع ونشر مكتب الإعلام

الإسلامي ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى .

- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
- تفسير الفخر الرازي ،المشتهر بالتفسير الكبير ومفتاح الغيب ،للامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتبه يخطيب الري ، اشراف مكتب التوثيق والدراسات في دار الفكر ،بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية - دار العلم للملايين -بيروت ، الطبعة الاولى ، آيار ١٩٧٠.
- تفسير غريب القرآن الكريم ،الشيخ فخر الدين الطريحي، حققه وعلق عليه ونشره محمد كاظم الطريحي، لم يذكر سنة الطبع ولا دار النشر .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ .
- جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان، لم يذكر سنة الطبع.
- رياض المسائل ، السيد علي الطباطبائي ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي -قم المقدسة ، الطبعة الأولى -١٤١٢ هـ .

- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دار الفكر - بيروت .
- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور ، الطبعة الأولى ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ،بيروت-لبنان ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبعة الاوفست عن طبعة دار الطباعة العامة باستانبول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
- في ظلال القرآن، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة والثلاثون ، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م .
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور المصري ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت، نشر وتوزيع دار أدب الحوزة - قم ١٤٠٥ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ،أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان ،الطبعة الأولى ٢٠٠٥ .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الإمام عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ، قدّم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، راجعه وضبطه واشرف عليه إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ، بيروت -لبنان .
- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، تأليف الدكتور مصطفى الزلمي ،و الأستاذ عبد الباقي البكري ، طبعة بغداد ، ٢٠٠٦
- مشايخ الثقات، غلام رضا عرفانيان ، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.



- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦، حققه وخرّج أحاديثه محمد بن عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
- معاني القرآن وإعرابه ، أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتعليق د. عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية ، الجزء الأول من الهمزة إلى الضاد ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤.
- معجم آيات القرآن الكريم ، محمد منير الدمشقي، دار الجيل بيروت، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ، الطبعة الثالثة.
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون رئيس قسم الدراسات النحوية بكلية دار العلوم وعضو المجمع اللغوي، مطبعة ونشر مكتب الإعلام الإسلامي ، جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، عنيت بنشره المكتبة الرضوية - طهران.
- المهدّب في أصول الفقه ، تطبيق للقواعد الأصوليّة على الشريعة والقانون، فاضل الصقار مؤسّسة الفكر الإسلامي، بيروت- لبنان -حارة حريك ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، المطبعة التجارية، بيروت، لم يذكر سنة الطبع.